IUGJIS
Vol 25, No1, 2017, pp 123-141
ISSN 2410-5201

تاريخ الإرسال (2016-05-8)، تاريخ قبول النشر (2016-07-24)

أسباب الغلو الفكري وسبل علاجه في ضوء القرآن الكريم

د.فايز حسان أبو عمرة [1]*

أ.د. عبد السميع خميس العرابيد [2]

[1] أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد – جامعة الأقصى– غزة– فلسطين

2 أستاذ التفسير وعلوم القرآن – جامعة الأقصى– غزة– فلسطين

* البريد الالكتروني للباحث المرسل:

E-mail address: faeyz@hotmail.com

الملخص:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد: فإن الكشف عن جذور التطرف، والعنف، والإرهاب، ومعرفة أسبابه هو موضوع الساعة، فهو من أشد الموضوعات خطورة وأثرًا، والإرهاب، والتطرف، والعنف، والغلو لم يأتِ اعتباطًا، ولم ينشأ جزافًا بل له أسبابه ودواعيه، ومعرفة السبب غاية في الأهمية ذلك لأن معرفة السبب تحدد نوع العلاج وصفة الدواء، وقد يكون مرجع هذا الفكر أسبابًا فكرية، أو نفسية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو يكون الباعث عليه دوافع اقتصادية، وتربوية.. إلخ. وبالنظرة الشاملة المتوازنة نستطيع أن نجزم بأن الأسباب متشابكة ومتداخلة، فالظاهرة التي أمامنا ظاهرة مركبة معقدة وهذا البحث يظهر أسباب الغلو والتطرف عند هؤلاء ووسائل علاجه وأسبابها كثيرة ومتداخلة.

كلمات مفتاحية:

التطرف - العنف - الإرهاب

Intellectual extremism causes and means of treatment - In the light of the HolyQuran

Abstract

Nowadays, it's important to discover the roots of extremism, violence and terrorism and to recognize their causes. This topic is one of the most dangersous and serious which has clear impact. Terrorism , extremism, violence and fanaticism did not exist haphazardly but they have causes and motives. The aim of this paper is to find out these causes and to determine the suitable treatment. The causes may refer to intellectual, psychological, political, social, economic or educational motives .. etc. Accordingly, by having an overall balanced look, we can assure that the reasons are intertwined and overlapping. This phenomenon is complex, overlapped and scaffolded.

This research shows the causes of extremism and fanaticism and means of treatment

Keywords:

extremism, violence , terrorism

المقدمة:

أولا: الغلو في اللغة والاصطلاح

الغلو في اللغة:

قال ابن فارس: "الْغَيْنُ وَاللَّامُ وَالْحَرْفُ الْمُعْتَلُّ أَصْلٌ صَحِيحٌ فِي الْأَمْرِ يَدُلُّ عَلَى ارْتِفَاعٍ وَمُجَاوَزَةِ قَدْرٍ"[1]والغلو يأتي بمعنى الاعتداء ومجاوزة الحدّ في التشدّد والتصلّب"[2]، وقال الأزدي "الِارْتِفَاع فِي الشَّيْء ومجاوزة الحدّ فِيهِ وَمِنْه قَوْله جلّ وعزّ: لَا تَغْلُوا فِي دِينكم، أَي لَا تجاوزوا الْمِقْدَار" [3]، وقال الإمام الطبري رحمه الله: "وأصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده الذي هو حدّه"[4]، والمراد بالغلو في الدين كما وضحه ابن عاشور: "أَنْ يُظْهِرَ الْمُتَدَيِّنُ مَا يَفُوتُ الْحَدَّ الَّذِي حَدَّدَ لَهُ الدِّينُ"[5]

يتبين من المعاني اللغوية أن الغلو يدل على الارتفاع ومجاوزة الحد في الدين؛ وذلك بالزيادة عن الحد الذي أثر عن النبي ﷺ.

وهناك ألفاظ وثيقة الصلة بالغلو مثل:

1- التطرف: وهو تجاوز حد الاعتدال.

2- التنطع: "هُمُ الْمُتَعَمِّقُون الْمُغالون فِي الْكَلَامِ، المتكلِّمون بأَقْصَى حُلُوقهم. مَأْخُوذٌ مِنَ النِّطَعِ، وَهُوَ الغارُ الأَعْلى مِنَ الفَم، ثُمَّ استُعْمِل فِي كُلِّ تَعَمُّق، قَوْلًا وَفِعْلًا"[6].

3- التشدد: "يُكلّف نفْسَه مِنَ الْعِبَادَةِ فِيهِ فوْق طاقَته. والْمُشَادَةُ: المُغَالَبة"[7]

قال أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلُوا فِيهِ بِرِفْقٍ»[8]

4- العنف: "العين والنون والفاء أصل صحيح يدل على خلاف الرفق والعنيف: الشديد من القول والفعل"[9].

وبالنظر إلى هذه الألفاظ تجد تقاربا بينها وبين الغلو، فهي بمثابة أوصاف ومظاهر للغلو[10].

الغلو في الاصطلاح:

مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك"[11].

ثانيا: العلاقة بين التمسك بالنصوص الشرعية والالتزام بها وبين الغلو:

لا علاقة بين التمسك بالنصوص والغلو؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس تمسكا والتزاما لنصوص الشريعة، ومع

(1) ابن فارس- معجم مقاييس اللغة: تحقيق: عبد السلام محمد هارون، 387/4، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

(2)انظر: محمد عميم البركتي- التعريفات الفقهية- (ص: 158)، دار الكتب العلمية باكستان (1407هـ - 1986م)، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م، الإبانة في اللغة العربية- أبو المنذر العوتبي- تحقيق: د. عبد الكريم خليفة وآخرين، 609/3، وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م

(3)أبو بكر محمد الأزدي- جمهرة اللغة- 961/2، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م.

(4) الطبري- تفسير الطبري- 416/9

(5)ابن عاشور- التحرير والتنوير- 51/6

(6)ابن الأثير- النهاية في غريب الحديث والأثر- تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، 74/5، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.

(7) المرجع السابق- 451/2

(8)ضياء الدين المقدسي- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما- دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، ح: 2115، 120/6، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، 1420 هـ - 2000 م

(9)ابن فارس- معجم مقاييس اللغة- 158/4.

(10) انظر: بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو- مجموعة من العلماء- (ص: 170)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1425هـ

(11)ابن تيمية- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، 328/1، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م

هذا لم يحصل لهم غلو أو تشدد – إلا في قضايا عينية في حياة النبي ﷺوقد أرشدهمﷺ إليها، وبين لهم طريق العبادة المعتدلة فانتهوا، فمن ذلك قصة عبد الله بن عمرو بن العاص في إطالة الصوم، " عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: أُنْكِحَنِي أَبِي امْرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، فَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ، فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا، فَتَقُولُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنَا كَنَفًا مُنْذُ أَتَيْنَاهُ، فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَكَرَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «الْقَنِي بِهِ»، فَلَقِيتُهُ بَعْدُ، فَقَالَ: «كَيْفَ تَصُومُ؟» قَالَ: كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: «وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟»، قَالَ: كُلَّ لَيْلَةٍ، قَالَ: «صُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلَاثَةً، واقرأ الْقُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ»، قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْجُمُعَةِ»، قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «أَفْطِرْ يَوْمَيْنِ وَصُمْ يَوْمًا» قَالَ: قُلْتُ: أُطِيقُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «صُمْ أَفْضَلَ الصَّوْمِ صَوْمَ دَاوُدَ صِيَامَ يَوْمٍ وَإِفْطَارَ يَوْمٍ، وَاقْرَأْ فِي كُلِّ سَبْعِ لَيَالٍ مَرَّةً» فَلَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ"(12)

وسببه هو موافقة هذا الالتزام منهم رضي الله عنهم لعلم صحيح، وفهم سليم، وهمة حريصة على العلم والبصيرة، فنجوا من الغلو فضلا عن الاستمرارية فيه، لكن لما بعد الناس عن زمان الأفاضل، وصار الدين غريبا، وأطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، صار المتمسك بسنة المصطفى ﷺ العاض عليها بنواجذه منبوذا مستهزأ به في تلك المجتمعات، وأطلقوا عليه عبارات النبز كالمتزمتين والغالين والمتطرفين والأصوليين ممن يروجون لذلك[13].

ثالثا: مفهوم التطرف والغلو في الدين

يمكن أن نتبين ملامح الغلو في ضوء النصوص الشرعية وتصنيفه بحسب متعلقه إلى ما يلي:

أولا: أن يكون الغلو متعلقا بفقه النصوص، وذلك بأحد أمرين:

1- تفسير النصوص تفسيرا متشددا يتعارض مع السمة العامة للشريعة، ومقاصدها الأساسية فيشدد على نفسه، وعلى الآخرين.

2- تكلف التعمق في معاني التنزيل لما لم يكلف به المسلم، ومن هنا نشأت الفرق كلها أو أكثرها.

ثانيا: أن يكون الغلو متعلقا بالأحكام، وذلك بأحد أمرين:

1 – إلزام النفس أو الآخرين بما لم يوجبه الله عز وجل عبادة وترهبا، وهذا معياره الذي يحدده الطاقة الذاتية، حيث إن تجاوز الطاقة وإن كان بممارسة شيء مشروع الأصل يعتبر غلوا، كما يتضح ذلك من قصة زينب رضي الله عنها، وقصة أبي إسرائيل رضي الله عنه. والقضية في هذا نسبية مناطها قدرة الشخص ومدى تحمله، يقول الإمام الشاطبي: "الْفَرْقُ بَيْنَ الْمَشَقَّةِ الَّتِي لَا تُعَدُّ مَشَقَّةً عَادَةً، وَالَّتِي تُعَدُّ مَشَقَّةً، وَهُوَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ الْعَمَلُ يُؤَدِّي الدوامُ عَلَيْهِ إِلَى الانْقِطَاعِ عَنْهُ، أَوْ عَنْ بَعْضِهِ، أَوْ إِلَى وُقُوعِ خَلَلٍ فِي صَاحِبِهِ، فِي نَفْسِهِ أَوْ مَالِهِ، أَوْ حَالٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، فَالْمَشَقَّةُ هُنَا خَارِجَةٌ عَنِ الْمُعْتَادِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فِي الْغَالِبِ، فَلَا يُعَدُّ فِي الْعَادَةِ مَشَقَّةً، وَإِنَّ سُمِّيَتْ كُلْفَةً، فَأَحْوَالُ الْإِنْسَانِ كُلُّهَا كُلْفَةٌ فِي هَذِهِ الدَّارِ، فِي أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَسَائِرِ تَصَرُّفَاتِهِ، وَلَكِنْ جُعِلَ لَهُ قُدْرَةٌ عَلَيْهَا بِحَيْثُ تَكُونُ تِلْكَ التَّصَرُّفَاتُ تَحْتَ قَهْرِهِ، لَا أَنْ يَكُونَ هُوَ تَحْتَ قَهْرِ التَّصَرُّفَاتِ، فَكَذَلِكَ التَّكَالِيفُ؛ فَعَلَى هَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ التَّكْلِيفُ وَمَا تَضَمَّنَ من المشقة"[14] وطاقات الناس مختلفة، وقدراتهم متفاوتة فمن ألزم نفسه فوق طاقتها، أو أدى استمراره على العمل إلى انقطاع عنه أو عن أعمال شرعية أخرى من الحقوق المتعلقة بالإنسان فقد غلا.

2- تحريم الطيبات التي أباحها الله عز وجل على وجه التعبد[15]، فهذا من الغلو كما يتضح ذلك من بعض روايات حديث النفر الثلاثة حيث حرم بعضهم على نفسه أكل اللحم، عَنْ أَنَسٍ، **أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى**

(12)أبو عبد الله البخاري– صحيح البخاري– تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب: فضائل القرآن، باب: في كم يقرأ القرآن، (ح: 5052)، 196/6، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، 1422هـ

(13) انظر: الفرق بين التمسك بالنصوص والغلو، مجلة البحوث الإسلامية– 238/74، https://ar-ar.facebook.com/permalink.php?story_fbid=655262654595121&id

(14) الشاطبي– الموافقات– تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، 214/2، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.

(15) انظر: عبد الرحمن معلا اللويحق– الغلو آفة عقدية– تاريخ النشر، 17/ديسمبر/2010، www.assakina.com

فِرَاشِ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ. فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟ لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[16]

فأنكر النبي صلى الله عليه وسلم غلو هؤلاء النفر وزهدهم، وتحريم بعض الطيبات على أنفسهم في الحياة الدنيا لمخالفتهم سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: أن يكون الغلو متعلقا بالموقف من الآخرين حيث يقف الإنسان من البعض موقف المادح الغالي الذي يوصل[17] ممدوحه إلى درجة العصمة، ويقف من البعض الآخر موقف الذام الغالي الذي يصم مخالفه بالكفر والمروق من الدين، مع أنه من أهل الإسلام[18].

المبحث الأول: أسباب الغلو

المطلب الأول: أسباب سياسية:

أولا: عدم الحكم بما أنزل الله: لا ينتظم أمر الحياة الدنيا ولا يستقيم حالها على العدل والحق إلا عندما تُحكم بما أنزل الله .. وليس بغيره من أهواء وشرائع البشر! قال عز وجل:**{وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً }**(المائدة:48)، وقال: **{وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَافِرُونَ}** (المائدة:44)، قال الرازي: ومن لم يحكم بما أنزل الله معناه من أتى بضد حكم الله تعالى في كل ما أنزل الله فأولئك هم الكافرون"([19]).

ولاشك أن تنحية شرع الله تعالى، وعدم التحاكم إليه في شئون الحياة وهجره من أخطر وأبرز مظاهر الانحراف في مجتمعات المسلمين، ولقد كانت عواقب الحكم بغير ما أنزل الله في بلاد المسلمين ما حل بهم من أنواع الفساد، وصنوف الظلم والاستبداد، والذل والمهانة.

إن عدم تطبيق الأحكام الشرعية والبعد عنها هو سبب الضلال والعمى والشقاء قال تعالى: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى)** [طه:124]. ومن أنواع الشقاء الإرهاب والعنف والتطرف، وعدم تطبيق الشريعة؛ بل التصدي لكل من ينادي بها بالقتل تارة، وبالسجن تارة أخرى دفع العديد من هؤلاء إلى امتطاء صهوة الإرهاب والغلو، وذلك ما تمثل واقعًا حيًا مشاهدًا في كثير من البلدان.

ثانيا: إهمال الحاكم الرعية: والأصل في ذلك قول الله تعالى: **{إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللّهَ نِعِمّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً يَا أَيّهَا الّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللّهَ وَأَطِيعُوا الرّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً}** (النساء:58،59)

قال أبو السعود: "وهم أمراءُ الحقِّ وولاةُ العدلِ كالخلفاء الراشدين ومن يقتدي بهم من المهتدين وأما أمراءُ الجَوْرِ فبمعزل من استحقاق العطفِ على الله تعالى والرسولِ صلى الله عليه وسلم في وجوب الطاعةِ لهم"([20]) فمهمة الحاكم هي حفظ الدين، والنصح للأمة، والصدق مع الرعية، وتلمس حاجات الناس، وتحقيق الحياة الكريمة لهم، والاستفادة من طاقاتهم، وشغل أوقاتهم، وتسهيل أمورهم المادية والمعيشية، وأمورهم المعنوية والإنسانية، وإشاعة التعليم، وتشجيع المعرفة، وصيانة العقول، والحفاظ على الأفكار.....الخ، وقد قال عبد الله بن عمر سمعت رسول اللهﷺ يقول: **"كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ"**[21] فإهمال الحاكم لهذه المهمات دفعت العديد إلى ردات فعل غير محسوبة وإلى الغلو والتطرف في محاربة الحاكم ونظامه والمجتمع بأسره.

ثالثا: الاستعمار وانتهاك الحرمات: مقاومة الظلم والاستعمار فعل نبيل، وباب من أبواب الجهاد الذي نص عليه القرآن الكريم والسنة النبوية في مواطن كثيرة منها قوله تعالى: **"وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ**

([16]) مسلم- صحيح مسلم- كتاب: النكاح، باب: استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنة، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم، ح(1401)، 1020/2.

[17]

(18)انظر: عبد الرحمن معلا اللويحق- الغلو آفة عقدية- تاريخ النشر، 17/ديسمبر/2010، www.assakina.com

(20) أبي السعود : إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (2/ 193)

([21]) البخاري- صحيح البخاري- كتاب: الجمعة، باب: الجمعة في القرى والمدن، (ح: 893)، 5/2.

يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا" (النساء: 75) ففي الآية حض على الجهاد، وهو يتضمن تخليص المستضعفين من أيدي المعتدين الذين يسومونهم سوء العذاب ويفتنونهم عن الدين، فأوجب الله تعالى الجهاد على المسلمين أن يكفوا شر الأعداء عن حوزة بلاد الإسلام.

يقول ابن كثير: "يحرض تعالى عباده المؤمنين على الجهاد في سبيله، وعلى السعي في استنقاذ المستضعفين"[22]، فالاستعمار والسيطرة الاستعمارية وانتهاك حقوق الناس وأخذ أموالهم بالباطل واحتلال الأراضي وانتهاك الحرمات والقتل والتدمير والاغتصاب وإجبار الناس على النزوح وترك أراضيهم وأوطانهم هذا يولد الإرهاب والعنف والتطرف، وهذا ما حصل في كثير من الدول العربية والإسلامية في فلسطين والعراق وسوريا واليمن وأفغانستان وغيرها من الدول؛ فسلاح القهر أكبر الأسباب التي تولد العنف في مثل تلك الدول، ذلك أن أغلب الأنظمة الحاكمة العربية قد مارست أشد أنواع القهر، والتعذيب في حق إسلاميين من دون هوادة، ومرت عهود على الشعب العربي لا مساحة فيه لرأي ولا متنفس فيها لقول، وقد واكب ذلك الخنوع المذل والاستسلام الكامل لحكام العرب تجاه رغبات أمريكا وإسرائيل، وتجاهل غليان الشارع العربي، وإحساسه الدائم بالتهميش والمذلة، وفي نفس الوقت جاءت السياسات الدولية، والقرارات الأممية منحازة في اتجاه معين، وتكيل بمكيالين، وكلها تميل ضد المصالح العربية والإسلامية، وهو ما أدى إلى خلل في الرؤية التي تجاوز حد تغليب المنطق والعقل والحكمة وتدفع نحو الغلو والتطرف والانتقام.

المطلب الثاني: أسباب فكرية:

وهو أخطر آثار الغلو والتطرف انتشارا في المجتمعات المسلمة، فأصحاب هذا الفكر يسرفون في تضليل الناس وتكفيرهم، ويستبيحون دماءهم وأموالهم.

فالعقلية المتدينة المتشددة التي ابتعدت عن الفهم الوسطي للدين الإسلامي، اتخذت العنف وسيلة لكل تغيير في المجتمعات.

والغلو في الاعتقاد أخطر أنواع الغلو؛ لرسوخه في القلب بما فيه من رأي أو فكر أو شرع، فأصعب ما يكون انتزاعها؛ لأن صاحبها يدافع عنها كما يدافع عن دمه وماله وعرضه، فالغالي إنما يعتقد ما يتوهم أنه شرع الله وليس كذلك، بل إنما يعتقد فكرًا أو رأيًا مصدره الهوى، لأن الضرر الحاصل بالغلو في الاعتقاد أعظم من الضرر الحاصل بالغلو في العمل[23]، وقد بين لنا رسول الله ﷺ خطر هذا المعتقد فقال ﷺ: «**إِنَّ مَا أَتَخَوَّفُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْآنَ حَتَّى إِذَا رُئِيَتْ بَهْجَتُهُ عَلَيْهِ وَكَانَ رِدْءًا لِلْإِسْلَامِ، غَيَّرَهُ إِلَى مَا شَاءَ اللَّهُ، فَانْسَلَخَ مِنْهُ، وَنَبَذَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ، وَسَعَى عَلَى جَارِهِ بِالسَّيْفِ، وَرَمَاهُ بِالشِّرْكِ** " **قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَيُّهُمَا أَوْلَى بِالشِّرْكِ، الرَّامِي أَمِ الْمَرْمِيُّ؟ قَالَ:** " **بَلِ الرَّامِي**»[24].

فهذا الحديث يكشف خطر الغلو الاعتقادي، وما يترتب عليه من مفاسد عظيمة؛ ومن هنا كان تحذير النبي ﷺ للمسلمين من الغلو في الدين، قال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: "**وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ**"[25]

وعلق ابن تيمية رحمه الله على حديث النبي ﷺ بأنه "عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال"[26].

إن من أخطر الآفات التي تفتك بالمجتمعات المسلمة تكفير الناس بأدنى شبهة، دون التحقق من صحة ما قيل، أو الأخذ بظاهر أقوالهم، فقد حذرنا النبي ﷺ من اتهام المسلم بالكفر دون دليل أو بينة، فالحكم بالكفر على مسلم يقول لا إله إلا الله لا يجوز في دين الله تعالى، **فعن ابْنَ عُمَرَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "أَيُّمَا امْرِئٍ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ**

---

(22)ابن كثير– تفسير ابن كثير– (2/ 358)

(23) انظر: بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو– (ص: 203)

(24)ابن حبان–صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان– تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ح: 81، 186/1، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 – 1993، حسنه الألباني في الصحيحة (رقم: 3201).

(25)أحمد بن حنبل–مسند الإمام أحمد بن حنبل– تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ح:1851)، 427/2، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ – 1995 م، صحيح الإسناد.

(26)ابن تيمية– اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم– (ص: 328)

بِهَا أَحَدُهُمَا، إِنْ كَانَ كَمَا قَالَ، وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ"[27] قال ابن حزم رحمه الله: "وَأما من كفر النَّاس بِمَا تؤول إِلَيْهِ أَقْوَالهم فخطأ؛ لِأَنَّهُ كذب على الْخصم، وتقويل لَهُ مَا لم يقل بِهِ، وَإِن لزمَه فَلم يحصل على غير التَّنَاقُض فَقَط، والتناقض لَيْسَ كفرًا؛ بل قد أحسن إِذْ فر من الْكفْر"[28]، وقال الألباني رحمه الله: "الكفر الاعتقادي ليس له علاقة بالعمل، له علاقة بالقلب، ونحن لا نستطيع أن نعلم ما في قلب الفاسق والفاجر والسارق والزاني والمرابي ... إلخ، إلا إذا عبر عما في قلبه بلسانه، أما عمله فينبئ أنه خالف الشرع مخالفة عملية، فنحن نقول: إنك خالفت، وإنك فسقت وفجرت، لكن لا نقول: إنك كفرت وارتددت عن دينك، حتى يظهر منه شيء يكون لنا عذرا عند الله عز وجل، في الحكم بردته"[29]

بخلاف الحاصل اليوم عند بعض المسلمين من تكفير لبعضهم البعض عند أدنى شبهة، يقول ابن تيمية رحمه الله: "فَلَيْسَ لِأَحَدِ أَنْ يُكَفِّرَ أَحَدًا مِنْ الْمُسْلِمِينَ وَإِنْ أَخْطَأَ وَغَلِطَ حَتَّى تُقَامَ عَلَيْهِ الْحُجَّةُ وَتُبَيَّنَ لَهُ الْمَحَجَّةُ، وَمَنْ ثَبَتَ إيمَانُهُ بِيَقِينِ لَمْ يَزُلْ ذَلِكَ عَنْهُ بِالشَّكِّ؛ بَلْ لَا يَزُولُ إلَّا بَعْدَ إقَامَةِ الْحُجَّةِ وَإِزَالَةِ الشُّبْهَةِ"[30].

ويقول كذلك ابن تيمية: "ولا ينبغي أن يظن أن التكفير ونفيه ينبغي أن يدرك قطعا في كل مقام؛ بل التكفير حكم شرعي يرجع إلى إباحة المال، وسفك الدماء، والحكم بالخلود في النار، فمأخذه كمأخذ سائر الأحكام الشرعية، فتارة يدرك بيقين، وتارة يدرك بظن غالب، وتارة يتردد فيه، ومهما حصل تردد فالتوقف عن التكفير أولى، والمبادرة إلى التكفير إنما تغلب على طباع من يغلب عليهم الجهل"[31].

ومن هنا حذرنا سبحانه وتعالى من متابعة اليهود والنصارى، وأن نتشبه بهم في المغالاة في الدين قال تعالى **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ}** [النساء: 171]

ومن أسباب الغلو الفكري:

أولا: الجهل بقواعد الإسلام وآدابه وسلوكه: ومن دلائل هذه الضحالة الفكرية، وعدم الرسوخ في فقه الدين، والإحاطة بآفاق الشريعة: الميل دائمًا إلى التضييق والتشديد والإسراف في القول بالتحريم، وتوسيع دائرة المحرمات، مع تحذير القرآن والسنة والسلف من ذلك، وحسبنا قوله تعالى: **{وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ}** [النحل:116].

يقول السعدي: "لا تحرموا وتحللوا من تلقاء أنفسكم، كذبا وافتراء على الله وتقولا عليه".

{لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ} لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا بد أن يظهر الله خزيهم وإن تمتعوا في الدنيا فإنه {مَتَاعٌ قَلِيلٌ} ومصيرهم إلى النار {وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}فالله تعالى ما حرم علينا إلا الخبيثات تفضلا منه، وصيانة عن كل مستقذر"[32].

وكان السلف لا يطلقون الحرام إلا على ما علم تحريمه جزمًا، فإذا لم يجزم بتحريمه قالوا: نكره كذا، أو لا نراه، أو نحو ذلك من العبارات، ولا يصرحون بالتحريم، أما الميالون إلى الغلو، فهم يسارعون إلى التحريم دون تحفظ، بدافع التورع والاحتياط، إن أحسسنا الظن، أو بدوافع أخرى، يعلم الله حقيقتها.

(27)مسلم- صحيح مسلم- كتاب: الإيمان، باب: بيان حال من قال لأخيه المسلم يا كافر، (ح: 60)، 79/1، محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت

(28)ابن حزم الظاهري- الفصل في الملل والأهواء والنحل- 139/3، مكتبة الخانجي - القاهرة

(29)محمد بن حسين القحطاني- فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة- (ص: 217)، دار الأوفياء للطبع والنشر - الرياض.

(30)ابن تيمية-مجموع الفتاوى- تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، 501/12، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م

(31)ابن تيمية- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية- تحقيق: موسى الدويش، (ص: 345)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: 1415هـ/1995م.

(32)السعدي- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان- تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (ص: 456)، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ - 2000 م.

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي نُعْمٍ، أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ العِرَاقِ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ عَنْ دَمِ البَعُوضِ يُصِيبُ الثَّوْبَ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: انْظُرُوا إِلَى هَذَا يَسْأَلُ عَنْ دَمِ البَعُوضِ وَقَدْ قَتَلُوا ابْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: «إِنَّ الحَسَنَ وَالحُسَيْنَ هُمَا رَيْحَانَتَايَ مِنَ الدُّنْيَا»[33]

ثانيا: التعامل مع غير المسلمين: القتال في الإسلام له ثلاثة أسباب: دفع الاعتداء، نصرة المظلوم، وتأمين حرية العقيدة، والإسلام لا يمانع من بر غير المسلمين ما داموا مسالمين، قال تعالى: **{لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} (الممتحنة: 8)**

يقول القرطبي: "هذه الآية رخصة من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم"[34].

والقصد من الآية: "أن الله تعالى لا ينهى عن برّ المعاهدين من الكفار الذين عاهدوا المؤمنين على ترك القتال، وعلى ألا يعينوا عليهم، إنما ينهاكم الله معشر المؤمنين عن موالاة الذين عادوكم، وهم مشركو قريش المردة وأمثالهم الذين قاتلوكم وأخرجوكم من دياركم، وساعدوا على إخراجكم، أن تتخذوهم أولياء، أي أنصارًا وأصدقاءً، ومن يفعل ذلك فأولئك هم الذين ظلموا أنفسهم، لأنهم صانعوا من يستحقّ العداوة"[35].

بينما بعض الجهلة التكفيريين يشيع بين الناس أن مجرد الكفر هو سبب كاف لاستباحة الدماء، وهذا جهل بالدين يناقضه صريح الآيات من القرآن الكريم والسنة النبوية، والخبرة العملية للتاريخ الإسلامي، فقد أَخْبَرَت أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ: **"أَتَتْنِي أُمِّي رَاغِبَةً، فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَسَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ: آصِلُهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا: {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ}** [الممتحنة: 8][36]

ثالثا: سوء فهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: إن عدم فهم حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أدى إلى إشكالات كبيرة في ساحة العمل الإسلامي، حيث عمدت فئة من المغالين إلى استخدام العنف في تغيير المنكر والأمر بالمعروف، فقتلوا، وخطفوا، وحرقوا، ودمروا، واستباحوا الدماء، والأعراض، ظنا منهم أنهم على صواب، واعتمد هؤلاء على حديث أَبي سَعِيدٍ قال: **سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»**[37]، ظنًا منهم أن تغيير المنكر واجب شرعي يطبقه الأفراد، وليست الدولة أو الحاكم المسلم، والله تعالى يقول: **{ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ (125) وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ (126)}** [النحل: 125، 126]، ويقول سبحانه وتعالى: **{وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ (33) وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (34) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ}**[فصلت: 33 – 35]

فالآية "سيقت لبيان محاسنِ الأعمالِ الجاريةِ بين العبادِ إثرَ بيانِ محاسنِ الأعمالِ الجاريةِ بين العبدِ وبين الربِّ عزَّ وجل ترغيباً لرسولِ الله ﷺ في الصبرِ على أذيةِ المشركين ومقابلةِ إساءتهم بالإحسان، أي لا تستوي الخَصلةُ الحسنة والسيئةُ في الآثار، والأحكام، ولا الثانيةُ مزيدة التأكيد النَّفي وقولُه تعالَى {ادفع بالتي هي أَحْسَنُ} الخ استئنافٌ مبيِّن لحسن عاقبةِ الحسنةِ أي ادفعْ السيئةَ حيثُ اعترضتْكَ من بعضِ أعاديكَ بالتي هيَ أحسنُ ما يمكنُ دفعُها به من الحسناتِ كَالإحسان إلى مَنْ أساءَ فإنه أحسنُ منَ العفوِ وإخراجُه مُخرجَ الجوابِ عنْ سؤالِ منْ قالَ كيفَ أصنعُ للمبالغةِ ولذلكَ وضعَ أحسن موضع الحسنة، وقولُه تعالى **{فَإِذَا الذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ**

(33)الترمذي– سنن الترمذي– تحقيق وتعليق:أحمد محمد شاكر وآخرون 1/ 2، كتاب: المناقب، باب: مناقب أبي محمد الحسن بن علي بن أبي طالب، (ح: 3770)، 657/5، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية: 1395 هـ – 1975 م، صححه الألباني.

(34) القرطبي– تفسير القرطبي (18/ 59)

(35) الزحيلي– التفسير الوسيط (3/ 2638)

(36) البخاري– صحيح البخاري– كتاب: الأدب، باب: صلة الوالد المشرك، (ح: 5978)، 4/8.

(37) مسلم– صحيح مسلم– كتاب: الإيمان، باب: بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان، ح(49)، 69/1.

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} بيانٌ لنتيجة الدفع المأمورِ بهِ أيْ فإذَا فعلتَ ذلكَ صارَ عدوُّك المُشاقُّ مثلَ الوليِّ الشفيق"[38].

رابعا: نظرتهم الضيقة والمحدودة تجاه المرأة: لا شك أن المرأة هي نصف المجتمع، وإن فاعليتها وقيامها بوظائفها المجتمعية تجعل المجتمع أكثر قدرة على الشهود الحضاري، والعيش على مستوى التحدي، والتفوق في العطاء، والتأثير في المجتمعات الأخرى، كما أن قعودها عن وظائفها المجتمعية وبذل قدراتها وطاقاتها لتحقيق أهداف مجتمعية يكون سببا في ركود المجتمع وتخلفه عن ركب الحضارة والعطاء الإنساني، وإن النظرة الضيقة حول المرأة قد أهدرت العديد من الطاقات والقدرات كما أن المطالبة بحبسها في البيت قد أضرت كثيرا بالمجتمع المسلم، فغياب المرأة عن تحمل مسؤولياتها المجتمعية بصورة مقبولة قد أعطى لأعداء الدين فرصة لاتهام الإسلام بهضم حقوق المرأة ومنعها من العمل، وحتى بعض السذج من أبناء المسلمين وقعوا ضحية لهذه الفرية على الدين، ونسبوا غياب المرأة عن ميادين العمل الكثيرة إلى الدين، حيث حرمت باسم التدين، أو التقاليد عن كثير من الحقوق التي قد أعطاها الله عز وجل لها.

قال تعالى: «**وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ نَقِيراً**»(النساء: 124) .."وهو نص صريح على وحدة القاعدة في معاملة شقي النفس الواحدة– من ذكر أو أنثى" [39].

إن العمل المطلوب للنهوض والرقي مسؤولية الرجال والنساء على السواء مع مراعاة الفوارق بين الرجال والنساء في طبيعة الأعمال التي يمكن أن يقوموا بها ومع مراعاة الأهلية الوظيفية لكل من الرجل والمرأة، فقد تكون المرأة أكثر أهلية لوظيفة معينة من الرجل في ذلك المجال.

فعدم فهم النصوص الشرعية فهمًا صحيحًا يهدر طاقات الأمة، فتصبح النظرة للمرأة نظرة قاصرة، وهذا ما بينه لنا **عمر ﷺ عندما خلا ذات يوم، فجعل يحدث نفسه: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد؟ فأرسل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: كيف تختلف هذه الأمة ونبيها واحد وقبلتها واحدة – زاد سعيد: وكتابها واحد؟ – قال: فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين: إنما أنزل علينا القرآن فقرأناه، وعلمنا فيما أنزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يدرون فيما نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان كذلك اختلفوا، وقال سعيد: فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا فإذا اختلفوا اقتتلوا ! قال: فزجره عمر وانتهره عليّ.. فانصرف ابن عباس، ونظر عمر فيما قال، فعرفه.. فأرسل إليه وقال: أعد علي ما قلته، فأعاد عليه، فعرف عمر قوله وأعجبه!**[40].

المطلب الثالث: أسباب نفسية:

كحب الظهور والشهرة: إنَّ الإسلام بطبيعته المعتدلة يُريد لأفراده أن يكونوا صالحين مُتوازنين، لا يغترُّوا بالدُّنيا أو تتعلَّق بها قلوبهم، فما مدَّ أحدٌ عينَيْه إلى مَتاعها إلاَّ واشرأبَّت نفسُه، وقارب الفتنة، أو حام حول حِماها، والسَّعيد من جعلَها مطيَّةً للآخِرة، فصارت له دارُ مَمرٍّ لا دارَ مقرّ، قال تعالى: ﴿ **وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى** ﴾ **[طه: 131].**

قال ابن كثير: "يقول تعالى لنبيه محمد صلوات الله وسلامه عليه: لا تنظر إلى هؤلاء المترفين وأشباههم ونظرائهم، وما فيه من النعم فإنما هو زهرة زائلة، ونعمة حائلة، لنختبرهم بذلك، وقليل من عبادي الشكور، وقال مجاهد: {أزواجا منهم} يعني: الأغنياء فقد آتاك الله خيرا مما آتاهم[41]

فكثيرٌ من الناس تَتُوق نفسه إلى أن يُشار إليه بالبنان أو أن يكون هو حديثَ المَجالس، أو أن يُسمع قولُه، أو يُكتب؛ لذا قد يَسعى بعضُهم بكلِّ سبيلٍ إلى تحقيق ذلك، ولو على حساب مُخالفة الدِّين والأخلاق؛ إذْ مِن خصائص الشهرة أنَّها تَوْزُّ المرء إلى المغامرة أزًّا، ويُدَعَّى إلى تبرير كلِّ وسيلةٍ موصِّلة إليها دعًّا، وهنا مَكْمَن الخطر، ومحمل الشَّوك الذي لا ينتقش.

---

(38) أبي السعود– إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (8/ 14)

(39) سيد قطب– في ظلال القرآن (2/ 762)

(40)البيهقي– شعب الإيمان– تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد وآخرون، كتاب: تعظيم القرآن، فصل في ترك التفسير بالظن،542/3، (ح: 2086)، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، 1423 هـ – 2003 م

(41) ابن كثير– تفسير ابن كثير– 326/5.

لذا؛ حذَّر ﷺ من سوء الأخلاق التي يكون عملُها وسعْيُها وقولُها لغير الله، فقال ﷺ: ((**إنَّ أوَّل النَّاس يُقضَى يوم القيامة عليه: رجلٌ استُشهد، فأُتِي به، فعرَّفه نِعَمه فعرَفها، قال: فما عَمِلتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيك حتَّى استُشهدت، قال: كذبتَ ولكنَّك قاتلتَ لأنْ يُقال: جريءٌ، فقد قيل، ثُمَّ أُمِر به فسُحِب على وجهه حتَّى أُلقِيَ في النَّار، ورجلٌ تعلَّم العلم وعلَّمه، وقرأ القرآن، فأُتِي به فعرَّفه نعمه، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: تعلَّمت العلم وعلَّمتُه، وقرأتُ فيك القرآن، قال: كذبتَ، ولكنَّك تعلَّمت العلم؛ ليُقال: عالِمٌ، وقرأتَ القرآن ليقال: هو قارئٌ، فقد قيل، ثمَّ أمر به، فسُحِب على وجهه حتَّى ألقي في النَّار، ورجلٌ وسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كلِّه، فأُتِي به فعرَّفه نعمه فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: ما تركتُ من سبيلٍ تحبُّ أن ينفق فيها إلاَّ أنفقت فيها لك، قال: كذبت، ولكنَّك فعلتَ ليُقال: هو جوَادٌ، فقد قيل، ثُمَّ أُمِر به، فسُحب على وجهه، ثمَّ ألقي في النَّار**))[42].

فهؤلاء الثَّلاثة وعملُهم الجليل – سواء كان الشَّهادة، أو تعليم العلم، أو الإنفاق في سبيل الله – يُعدُّ من أعظم الأعمال في ميزان الإسلام، ولكنَّهم أحبَطوا ثوابَ عملِهم بسبب طلب الشُّهرة بين النَّاس، وحب الظُّهور الذي يَقْصِم الظُّهور، فكانوا أوَّل من تُسعَّرُ بهم جهنَّم، فهم حطَبُها الأوَّل؛ لأنَّهم أرادوا أن يَكونوا أوَّلَ الناس، وعلى رأسهم، فعاقبَهم الله بمِثْل قصدِهم، والجزاء من جنس العمل، ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: 46].

ولو كانت الشُّهرة مَنْقبة تتشوَّق لها النُّفوس الكريمة، لأكرَم الله بها سادة الدُّنيا من الأنبياء والمرسَلين مع كثرة عددهم لقوله تعالى﴿**وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ**﴾ [النساء: 164]، ورغم ذلك لم يَحْفظ لنا القرآنُ سوى أسماء خمسة وعشرين رسولاً لا غير، عن ابن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (**ثلاثٌ مهلكات وثلاثٌ منجيات، وثلاثٌ كفارات وثلاثٌ درجات، فأما المهلكات: فشحٌّ مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه**)[43]، فمن المهلكات إعجاب المرء بنفسه فيرى لنفسه من الميزات والفضائل، وذلك من وسوسة الشيطان، ويرى أنه صاحب فضل، وأنه صاحب ميزة، أنه إنسان شريف، إنسان صاحب قدرات، يتوهم هذا، ولابد أن ينشر فضله في العالمين.

هكذا يشل حب الشهرة حركة المجتمع الإيجابية؛ ليحوِّلَها إلى شكليَّات ومظاهر، ومسرحيات يُخادع بها بعضُهم بعضًا، فالشهرة حين تصير غايةً في ذاتها فمعنى ذلك تفَشِّي الكذب والنِّفاق، والخديعة والتصنُّع، وغياب القِيَم الحقيقيَّة التي لا تنتج الإبهار، ومعرفة الناس الشُّهرة تَعني سقوط النَّماذج الحقيقة؛ ليبرز مكانَها البالونات الكاذبة والسَّراب المضلل، فليس كلُّ مشهور ناجحًا أو ناجيًا عند الله تعالى، وليس كلُّ مغمور فاشلاً أو متأخِّرًا.

المطلب الرابع: أسباب اقتصادية:

1–البطالة مثلا تدفع بالكثير من الشباب إلى الانخراط بالجماعات المتطرفة حيث تستغلهم هذه الجماعات لأغراضها الخاصة ويتم تحت ضغط الحاجة عملية غسيل للدماغ وقد أثبتت الأحداث أن هناك عددًا من الشباب الذين غرر بهم تحت طائلة الأموال.

2_ إن كثيراً من النافذين استكثروا على شعوبهم أن يشاركوهم الحياة، فاستأثروا بالثروات والمؤسسات والشركات، وعاشوا حياة البذخ والسرف واستغلال السلطة، في ظل وجود طبقة محرومة تعيش دون مستوى الفقر، بل تصل إلى حد العدم ولا تملك شيئاً، إنه وبحكم الطبيعة البشرية سيرتفع مستوى الحقد والحسد والتحامل والتطرف والنقمة على الآخر الغني، مما يؤجج روح العداء، ويذكي نار التطرف والغلو تحت مسمى الدين أو غيره.

قال تعالى: **﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾**(البقرة188)، والمعنى: "لا تدفعوا أموالكم للحكام لتأكلوا بها فريقاً من أموال الناس بالإثم، فالإدلاء بها هو دفعها لإرشاء الحكام

(42) مسلم– صحيح مسلم– كتاب: الأمارة، باب: من قاتل للرياء والسمعة استحق النار، (ح: 1905)،3/ 1513.

(43)أبو عمر يوسف النمري القرطبي– جامع بيان العلم وفضله– تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، (ح: 961)، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1414 هـ – 1994 م

ليقضوا للدافع بما لغيره فهي تحريم للرشوة وللقضاء بغير الحق، وَلِأَكْلِ الْمَقْضِيِّ له مالاً بالباطل بسبب القضاء بالباطل"[44].

فقد نظر القرآن إلى الأموال نظرة واقعية فوصفها بأنها قوام الحياة، و حذر من تركها في أيدي السفهاء الذين لا يحافظون عليها، و لا يحسنون التصرف فيها قال تعالى: {وَلاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً}(النساء:5)

المطلب الخامس: أسباب تربوية ودعوية

1_ تصدُّر حدثاء الأسنان وسفهاء الأحلام للعلم والدعوة، قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**سَيَخْرُجُ قَوْمٌ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، أَحْدَاثُ الأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الأَحْلاَمِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ البَرِيَّةِ، لاَ يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ، كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَأَيْنَمَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(45).

لهذا ترى بعض الشباب اتَّخذ منهم رؤساءً جهالاً، فأفتوْا بغير علم، وحكموا في الأمور بلا فقه، وواجهوا الأحداث الجسام بلا تجربة ولا رأي ولا رجوعٍ إلى أهل العلم والرأي، بل كثيرٌ منهم ينتقص العلماءَ والمشايخَ ولا يعرف لهم قدْرهم، فيلمزهم بالتقصير أو المداهنة ونحو ذلك.

2_ الجهل بأحكام الدين، فالمتأمل لواقع أكثر الغلاة والمتطرفين، يجد أنهم يتميزون بالجهل وقلةِ الفقه في الدين، وضحالةِ الحصيلة في العلوم الشرعية، ومع ذلك تراهم يخوضون في المصالح العظمى والقضايا المصيرية، فيكثرُ منهم التخبطُ والخلطُ والأحكامُ المتسرعة والمواقف المتشنجة، مع وجود الغيرة منهم على دين الله وتعظيم الحرمات وشدة الخوف من الله تعالى، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «**يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاَتَكُمْ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ، وَعَمَلَكُمْ مَعَ عَمَلِهِمْ، وَيَقْرَءُونَ القُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، يَنْظُرُ فِي النَّصْلِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي القِدْحِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَنْظُرُ فِي الرِّيشِ فَلاَ يَرَى شَيْئًا، وَيَتَمَارَى فِي الفُوقِ**»(46).

3_ "غياب دور العلماء وانشغالهم، فالعلماء لهم منزلةٌ عظيمةٌ في المجتمع المسلم، فهم ورثة الأنبياء، فغيابهم أو انشغالهم، مدعاةٌ لتصدير غير الأكفاء الذين يُضلون الناسَ بغير علم، وحينذاك يتعرض المجتمعُ للهلاك"(47)، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: **لَأُحَدِّثَنَّكُمْ حَدِيثًا لاَ يُحَدِّثُكُمْ أَحَدٌ بَعْدِي، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مِنْ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ: أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ"**(48).

4_ الجفوة بين العلماء والشباب، ففي أغلب بلاد المسلمين تجد العلماء بمعزل عن الشباب، وبالمقابل تجد الشباب بحيويتهم ونشاطهم وهمتهم بمعزل عن العلماء، مما أوقع بعض الشباب في الأحكام والتصرفات التي لا تليق تجاه علمائهم،فيُفقد الحوارُ الذي هو أساس التفاهم والإصلاح ما بين الفئتين.

5_ التعالي والغرور، فتجد أحدهم لا يعرف بدهيات العلم الشرعي، ويظن أنه بعلمه القليل وفهمه السقيم قد حاز علوم الأولين والآخرين، فيستقل بغروره عن طلب العلم من العلماء، فَيَهْلك بغروره وَيُهلك، وهكذا كان الخوارج الأولون يدَّعون العلم والاجتهاد ويتطاولون على العلماء، وهم من أجهل الناس.

6_ نقص الثقافة الدينية في المناهج التعليمية في معظم البلاد الإسلامية، فقد أُسست السياسة التعليمية في معظم البلاد الإسلامية على أسس غير إسلامية، كالتنشئة على حب القومية العربية ونحوها(49). فما يُدرَّس في مراحل التعليم الأساس وما بعده، لا يؤهل شخصاً مثقفاً بالحد الأدنى من الثقافة الإسلامية، وقد أدى ضعف المقررات الدينية إلى الأثر السلبي على سلوك الأفراد واتجاهاتهم(50).

---

(44)التحرير والتنوير162/2

(45) البخاري– صحيح البخاري–كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم–باب: قتل الخوارج 340/3، (ح6930).

(46) البخاري– صحيح البخاري–كتاب: فضائل القرآن–باب: إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به أو فخر به،197/6، (ح: 5058).

(47)اللويحق– مشكلة الغلو في الدين 549/2.

(48) البخاري– صحيح البخاري–كتاب العلم–باب رفع العلم وظهور الجهل 31/1ح(81).

(49) انظر: محمد منير موسى- التعليم العام في البلاد العربية ص196.

(50) انظر: الظاهري– دور التربية في الإرهاب– ص60.

7_ افتقاد التوافق مع النفس ومع الغير، وحين التأمل في الحياة المعاصرة نجد أن أكثر الذين اتُهموا بالغلو والتطرف، أو وقعوا فيه هم ممن يفتقد التوافق مع النفس أو مع المجتمع، وعدم التوافق دفعهم إلى اتخاذ أساليب غير شرعية في تغيير الواقع الذي يعيشونه، وبما يتناسب مع أفكارهم المنحرفة.

8_ عدم إشباع الحاجات الإنسانية، فالإنسان وخصوصاً في مرحلة الشباب بحاجة إلى جملة من الحاجات الأساسية التي ينبغي إشباعها وتوجيهها، ليعيش في استقرار نفسي واجتماعي، وإلا فسيصير الشاب إلى أحد طريقين: إما إشباع حاجاته من طرق غير سوية أو شرعية، أو البقاء في ظل الحرمان، وكلا الطريقين يصير بالمرء والمجتمع إلى عدم الاستقرار، مما يولد غلواً وتطرفاً في الفكر نحو المجتمع(51).

المطلب السادس: أسباب اجتماعية

1_ اختلال العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وضبط هذه العلاقة جاء بأسلوب شرعي بديع هو توجيه كل من الطرفين: الحاكم والمحكوم إلى القيام بالمهام المنوطة به، والواجبات الموكلة إليه، فإذا نظرت إلى النصوص الواردة في شأن الحاكم وحقوق الرعية عليه والواجبات المنوطة به، ظننت أن الشرع مائل إلى جانب الرعية، وإذا نظرت إلى النصوص الواردة في شأن الرعية وحقوق ولي الأمر عليهم من الطاعة والنصرة ونحوها ظننت أن الشرع مائل إلى جانب الحاكم، والموقف كما هو واضح يتشكل من مجمل النظر إلى النصوص الواردة في ذلك، وعلى الإمام إقامة الدين والحكم بشريعة سيد المرسلين، وإصلاح أمر المسلمين والرفق بهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعلى الرعية السمع والطاعة، وعليهما التناصح والشورى(52).

2_ فقدان الانتماء إلى المجتمع الإسلامي والتعلق به، لهذا فقد اهتم الإسلام بالتعلق بالمجتمع اهتماماً بالغاً، وبيَّن علاقة الفرد به حتى شبَّه المجتمع بالجسم الواحد، ودعا إلى التعلق بالجماعة، عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: **خَطَبَنَا عُمَرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ**"(53). وعن الحارث الأشعري قال: **قال رسول الله ﷺ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ**"(54).

والمراد بالجماعة التي دعا بها النبي صلى الله عليه وسلم هو الالتزام بسنته وما عليه صحابته الكرام رضوان الله عليهم، ففي ذلك النجاة، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَى أُمَّتِي مَا أَتَى عَلَى بني إسرائيل حَذْوَ النَّعْلِ بِالنَّعْلِ، حَتَّى إِنْ كَانَ مِنْهُمْ مَنْ أَتَى أُمَّهُ عَلَانِيَةً لَكَانَ فِي أُمَّتِي مَنْ يَصْنَعُ ذَلِكَ، وَإِنَّ بني إسرائيل تَفَرَّقَتْ عَلَى ثِنْتَيْنِ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، وَتَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ مِلَّةً، كُلُّهُمْ فِي النَّارِ إِلَّا مِلَّةً وَاحِدَةً»، قَالُوا: وَمَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»[55]

3_ التفكك الأسري والاجتماعي، فحرمان الطفل من الحاجات، أو معاملته بالقسوة منذ صغره،أو سوء العلاقة بين الزوجين، يساعد على أن ينشأ الطفل قاسياً ناقماً على الناس، يتخذ من الانحراف وسيلةً للثورة على مجتمعه وبيئته، ولنا في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في معاملة الأطفال،أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»(56).

4_ رفقاء السوء، لا شك أنه لا يُستهان بدور الرفقاء في النزوع نحو الغلو والتطرف، لا سيما عندما يكون تأثير الرفقاء قوياً في وجود شخصية ضعيفة أو غير مستقرة أسرياً، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، **أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»**(57).

---

(51) انظر: اللويحق- مشكلة الغلو في الدين 1/327- 332.

(52) المرجع السابق 2/475_488.

(53) الترمذي- سنن الترمذي- كتاب: الفتن، باب: ما جاء في لزوم الجماعة 4/213ح2165، قال الألباني حديث صحيح.

(54) الترمذي- سنن الترمذي-كتاب الأمثال-باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة 4/557ح2863، قال الألباني حديث صحيح.

(55) الترمذي- سنن الترمذي- كتاب: أبواب الإيمان، باب: ما جاء في افتراق هذه الأمة، ح(2624)، 5/26، قال الألباني حديث حسن

(56) البخاري- صحيح البخاري-كتاب الأدب-باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته 3/137ح5997..

(57) أبي داود- سنن أبي داود-كتاب الأدب-باب من يؤمر أن يجالس 4/2062ح4833، قال الألباني حديث حسن.

المطلب السابع: أسباب إعلامية

تلعب وسائل الإعلام دوراً لا يُستهان به في تغذية فكر الغلو والتطرف، فهي بما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار ونحوه،ففي أغلب الأحيان تنتهج منهج التطرف فإما الاستهتار بالعقول والشعائر الدينية والأخلاقية، أو زرع الفتن وإثارتها من خلال بعض البرامج أو الأفكار(58).

قال تعالى: {وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (186) } [آل عمران: 186]وهذه الصور تتجدد مع الزمان. وتتنوع بابتداع وسائل الدعاية الجديدة، وتوجه كلها إلى الإسلام في أصوله الاعتقادية، وإلى الجماعة المسلمة والقيادة الإسلامية [59].

إن الإعلام في العصر الحديث صار –غالبًا– مطية الشيطان إلى كل فتنة وضلالة وبدعة ورذيلة، فإن وسائل الإعلام في أكثر البلاد الإسلامية غالبا ما تسخَّر في سبيل الشيطان، وهي من خيله ورجله في الدعوة إلى الضلالة ونشر البدعة والزندقة وترويج الرّذيلة والفساد، وهتك الفضيلة، وحرب التدين وأهله، وبالمقابل فإن إسهام الإعلام في نشر الحق والفضيلة قليل وباهت جدا، ولا شك أن هذا الوضع منكر عظيم ومكر كبّار، ويعد أعظم استفزاز يثير غيرة كل مؤمن وحفيظة كل مسلم، فإذا اقترن ذلك بشيء من قلة العلم والحلم والصبر والحكمة، وغياب التوجيه الشرعي السليم، أدّى ذلك بالضرورة إلى الصّلف والقسوة في الأحكام والتعامل، وإلى الإحباط والتشاؤم واليأس عند بعضهم، فيندفع إلى التغيير بعنف، لذا فإن علاج هذه الظواهر لن يكون حاسما إلا بإزالة أسبابها.

المبحث الثاني سبل علاج الغلو

لا بد أن يتسم العلاج على قدر كاف من الحكمة والعقلانية، بعد الفهم العميق للظاهرة، فإن من الممكن ارتكاب أخطاء إضافية تؤدي إلى زيادة حجم المشكلة لا الحدّ منها، فلم يعد ممكناً مواجهة ظواهر التطرف والتشدد والإحباط، بذات الوسائل القديمة التي كان البعض يصرّ على اللجوء، إليها، وقد أثبتت التجربة العملية فشلها، وقد جرت العادة على مواجهة ظاهرة التطرف بأحد أسلوبين:

أولا: الأسلوب الأمني البوليسي: وهو المفضل لدى غالبية الأجهزة الرسمية، والمؤسسات الأمنية العربية والإسلامية.

ثانيا: الأسلوب السياسي والفكري: عن طريق الاستيعاب، وفتح قنوات الحوار، لإقناع من يحمل فكراً متطرفاً، بأن أبواب التأثير والإصلاح بالطرق السلمية بعيداً عن العنف وإراقة الدماء، متيسرة أمامه وليست مغلقة.

المطلب الأول: العلاج العقدي والديني:

أولا: التحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه:

التحاكم إلى كتاب الله وإلى سنة نبيه ﷺ، والتمسك بهما، هو سبيل العلاج من الغلو، فالله جل وعلا يقول: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: 65]. ويقول تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا**﴾ [الأحزاب: 36.]

قال العرباض بن سارية قال رسول الله ﷺ: «**وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ**»(60). وقالت عَائِشَةَ:**أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»**[61]يعني أنه مردود عليه.

فالتحاكم إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله ﷺسبيل لترك هذا الغلو، ولكن أهل الغلو لا يرتضون بذلك، بل إن رأوا في الكتاب والسنة ما يوافق ما يريدون أخذوا بهما، وإن رأوا مخالفتهما لما يريدون فإنهم يطّرحونهما، وهذا كما قال الله جل وعلا: ﴿**وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ * وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ * أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**﴾(النور: 48: 50) فهم يزعمون أنهم يتحاكمون إلى كتاب

(58)الشنقيطي– الإعلام الإسلامي– ص160 .

(59)سيد قطب– في ظلال القرآن (1/ 540)

(60) أبي داود– سنن أبي داود– كتاب: السنة، باب: في لزوم السنة، (ح: 4607)، 200/4، قال الألباني حديث صحيح.

(61) مسلم– صحيح مسلم– كتاب: الأقضية، باب: نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور، (ح: 1718)، 1343/3.

الله، وإلى سنة رسول الله ﷺ لكن إذا كان الأمر يخالف ما هم عليه طرحوه واتخذوا آراء مشايخهم، وآراء معظميهم، وقدموهما عليهما، وهذه عين الفتنة.

ثانيا: العمل بكتاب الله وسنة رسوله:

ومما ينبغي أن يعالج به الغلو: العمل بكتاب الله جل وعلا كله، والعمل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كلها، فالله جل وعلا عنف الذين يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعض كاليهود ومن شابههم فقد أخذ بحظ من التشبه باليهود؛ لأن الله جل وعلا يقول: ﴿**أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ**﴾(البقرة: 85)

وأنت تجد أن بعض الناس حينما يجد الدليل موافقًا لما هو عليه فإنه يتخذ هذا الكتاب، وحينما يجده مخالفا له فإنه يطرحه. وإن من الخطأ العظيم والخطأ الفادح، الذي يقع فيه بعض الناس، وربما بلغ بهم الأمر إلى الضلالة والكفر – والعياذ بالله – أنهم يستخفون بشيء مما جاء في كتاب الله، وبشيء مما جاء في سنة رسوله ﷺ، لا أنهم يتركون العمل بهما، فترك العمل شيء آخر، لكن الأمر الخطير هو الاستخفاف بما جاء في الكتاب والسنة، فإن هذا كفر باتفاق أهل العلم، فالاستخفاف بالكتاب والسنة كفر[62].

فبعض الناس تجده يستخف بالكتاب والسنة من حيث لا يشعر، فإذا جاء أمر يخالف ما هو عليه استخف به. مثال هذا: أن يأتي الأمر في كتاب الله، أو في سنة رسول الله ﷺ بطاعة الأمراء، فتجد بعض الناس ربما عبس بوجهه، وربما زوى وجهه استخفافًا بهذا، استخفافًا بالمتكلم بهذا، وربما وصف المتكلم بهذا بأن فيه جبنًا، أو أن فيه مداهنةً، إلى آخره، وهذا عين الضلال؛ لأن هذا ردٌّ على الله جل وعلا، ورد على رسول الله ﷺ، وما جاء به.

1_ الاعتصام بالكتاب والسنة يحقق النجاة من كل شر وانحراف، إذ الشرور منبعها الإعراض عن دين الله وشرعه،**عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ**"(63).

2_ معالجة الفساد العقدي، وذلك بالالتزام بفكر الوسطية والاعتدال وهو مذهب أهل السنة والجماعة(64). لهذا فإن غلو المرجئة المعاصرين في إرجائهم دفع أقواماً نحو الغلو في التكفير.

3_ محاربة المظاهر العامة للفساد الأخلاقي والديني، ذلك من شأنه أنه لا يترك مجالاً للغلاة والمتشددين لمهاجمة المجتمع والتطاول عليه، أما وجود مظاهر الانحلال والفساد قد يعطيهم المبرر في نظر الكثيرين لما يقومون به، لهذا لا بد من قطع دابر الفتنة وسد باب الذرائع.

المطلب الثاني: العلاج العلمي والتربوي:

1-تربية النشء على الكتاب والسنة:

كذلك من سبل العلاج التي جاءت في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ تربية النشء على وفق ما جاء في الكتاب والسنة، فالنبي ﷺ يقول: «**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[65]فالمولود يولد على الفطرة إلى أن يأتي المؤثر الخارجي فيؤثر فيه، إما بتهويد أو تنصير أو تمجيس، أو غير ذلك، أو نشر فتنة أو زرع غلو، فالطفل يخرج وهو على الفطرة، إلا أن هذين الأبوين أو المؤثر الخارجي يغير فطرته، فتجد منهم من يتنطع، وتجد منهم من ينحل من الدين انحلالاً كليًا.

فتربية النشء لا بد منها، ولا بد أن يكون النشء في محضن صالح، وفق كتاب الله، ووفق سنة رسوله ﷺ فيُعلّم تعظيم كتاب الله، ويعلم تعظيم سنة رسول الله ﷺ، فإنه إذا ربي النشء على هذا خرج المجتمع كله صالحًا، وخرج المجتمع كله على وفق الكتاب والسنة، وهذا ما أمر الله جل وعلا به، وأمر به نبيه .ﷺ

بيان سنة النبي ﷺفي التعامل مع الطوائف والأشخاص والعبادات:

(62) انظر: ابن تيمية– الإيمان– ص: (215)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي عمان، الأردن، الطبعة الخامسة: 1416هـ/1996م.

(63)الحاكم– المستدرك على الصحيحين– تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، كتاب: العلم، باب: فأما حديث عبد الله بن نمير، (ح: 318)، 171/1، احتج البخاري بعكرمة واحتج مسلم بأبي أويس عبد الله وله أصل في الصحيح.

(64) انظر: ابن تيمية– الفتاوى 141/3.

(65) البخاري–صحيح البخاري– كتاب: الجنائز، باب: إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام، (ح: 1358)، 98/2.

ومن الأمور التي يعالج بها الغلو هو: بيان سنة النبيﷺفي التعامل مع الطوائف، وفي التعامل مع الأشخاص، وفي التعامل مع العبادات، فالنبي ﷺ جاءنا بدين واضح، لا يزيغ عنها إلا هالك، وتركنا على المحجة البيضاء، وما ترك النبي ﷺ من شيء إلا وبينه؛ إما تحذيرًا وإما ترغيبًا.

فالنبي ﷺ وصفه ربه جل وعلا بقوله: ﴿**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ**﴾ [التوبة: 128

نشر العلم الشرعي:

نشر العلم الشرعي، وأخذه عن العلماء، وأخذه عن المشايخ المعروفين بالعلم، والمعروفين بالثقة والأمانة وسلامة المنهج، هو سبب عظيم لنبذ هذا الغلو وسبب لتركه، فإن صحابة رسول الله ﷺ لم يعرف عن أحد منهم أنه غلا.

لما جاء ثلاثة رهط إلى النبي ﷺ وذكر كل واحد منهم أنه سيترك عملاً من الأعمال، أو سيترك أمرًا من الأمور، تعبدًا لله عز وجل، غضب النبي ﷺ وقال: **إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي**» »[66] فهؤلاء الصحابة لما وقع منهم ما وقع حذرهم النبي ﷺ من الغلو، والتنطع في الدين.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: **بَيْنَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْطُبُ، إِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَائِمٍ، فَسَأَلَ عَنْهُ فَقَالُوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ، نَذَرَ أَنْ يَقُومَ وَلاَ يَقْعُدَ، وَلاَ يَسْتَظِلَّ، وَلاَ يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مُرْهُ فَلْيَتَكَلَّمْ وَلْيَسْتَظِلَّ وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ»**(67)

الحث على طلب العلم الشرعي النافع، ذلك أن أهم أسباب الغلو والتطرف الجهل بأحكام الدين، قال ابن تيمية: "يحتاج المتدين المتورع إلى علم كثير بالكتاب والسنة والفقه في الدين، وإلا فقد يفسد ورعه أكثر مما يصلحه، كما فعله الكفار وأهل البدع من الخوارج والروافض وغيرهم"(68).

2_ الرجوع إلى العلماء ومشاورتهم، لأنهم أعرف الناس بمراد الله تعالى ومراد رسوله ﷺ، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا» (69).

3_ قيام العلماء بدورهم الذي ينبغي عليهم القيام به، فإن الله تعالى أخذ عليهم الميثاق أن يبينوا الحق للناس ولا يكتمونه، فإذا ترك العلماء الساحة فارغة حمل الراية من لا يجيد النزال.

4_ محاورة العلماء للغلاة ومناظرتهم، وذلك بإقامة الحجة عليهم من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، كما أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما في مناظرته للخوارج في زمن علي رضي الله عنه(70).

5_ الاهتمام بمناهج التربية والتعليم، وذلك من خلال العناية بالخطة الدراسية والكتاب المدرسي والمدرسين الأكفاء وبالسياسة التعليمية كلها، لأن هذا من شأنه أن يؤسس لبناء شخصية مسلمة متكاملة البناء.

احترام أهل العلم:

احترام وتقدير أهل العلم، من شريعة محمد صلى الله عليه وسلم. فالعلماء عظمهم الله جل وعلا بقوله: ﴿**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**﴾ [فاطر: 28]. وقوله تعالى: ﴿**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ**﴾ [المجادلة: 11]

فإذا كان الله جل وعلا عظم شأن العلماء، فكيف لا يعظمهم البشر ؟ كيف لا يعظمهم من هو دونهم ؟ قال ﷺ: «**وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَإِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**» [71].

إذا هان شأن العلماء، وهان شأن أهل العلم، فإن الناس لا تربطهم رابطة؛ لأن الناس إنما يرجعون إلى علمائهم وأمرائهم، يرجعون إلى

(66) البخاري– صحيح البخاري– كتاب: النكاح، باب: الترغيب في النكـــاح، (7/ 2)، ح: (5063).

(67) البخاري– صحيح البخاري– كتاب: الإيمان والنذور، باب: النذر فيما لا يملك وفي معصية، ح(6704)، 143/8

(68)ابن تيمية– مجموع الفتاوى 141/20.

(69) البخاري– صحيح البخاري–كتاب العلم–باب كيف يقبض العلم (1/ 32) ح: 100

(70) انظر: القصة مطولة في مسند أحمد 67/5. والحديث إسناده صحيح.

(71) أبي داود– سنن أبي داود– كتاب: العلم، باب: الحث على طلب العلم، ح(3641)، صححه الألباني.

علمائهم في بيان العلم الشرعي، وبيان ما يجوز لهم، وما يحرم عليهم، وما يكره لهم، وما يستحب وما يباح لهم.

ويرجعون إلى الأمراء فيما أشكل عليهم، في أمور السياسات والاقتصاد، وغير ذلك، مما هم أعلم به من غيرهم؛ لأن الله جل وعلا أمرنا بذلك: ﴿**وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ**﴾ [النساء: 83]. فأهل العلم وأهل الإمارة هم الذين يعرفون ما يحتاجه الناس، وأما إذا ترك الناس من غير علماء، ومن غير أمراء، فإن الناس لا تقوم لهم قائمة.

المطلب الثالث: العلاج الاجتماعي والاقتصادي والسياسي:

ترك التقليد:ترك التقليد الذي نهى الله جل وعلا عنه، ونهى النبي ﷺ عنه، قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ(23)قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ**﴾ [الزخرف: 23- 24]"اعترفوا بأن لا مستند لهم من حيث العيان ولا من حيث العقل ولا من حيث النقل، وإنما يستندون إلى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم"[72].

فربما قلد الناس من لا يجوز لهم تقليده، ولا يجوز لهم اتباعه من مشايخ ؛ لأنهم من الجهل بما كان، أو مشايخ تركوا العمل بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، أو بعض الطوائف تركوا العمل بكتاب الله، وسنة رسوله ﷺ؛ اتباعًا وتقليدًا لما عليه هؤلاء المشايخ، مشايخ الطرق وغيرها.

1_ الردُّ على شبهات الغلاة والمتطرفين ودحضُها، وهذا واجب على العلماء، قال ابن القيم: "إن من بعض حقوق الله على عبده: ردُّ الطاعنين على كتابه ورسوله ودينه، ومجاهدتهم بالحجة والبيان، والسيف والسنان والقلب والجنان، وليس وراء ذلك من حبة خردل من إيمان"(73). إذ من النصح الواجب لله ولرسوله ولكتابه الردُّ على أهل الغلو والابتداع وتحذير الأمة من فعلهم.

2_ العقوبة والردع، وهذا واجب الحكام والأمراء، وذلك بعد استخدام كل الوسائل والسبل لمعالجة ظاهرة الغلو والتطرف، فآخر العلاج الكي، إذ إن بعض الغلاة لا يصلح معهم إلا التعزير من حبس أو نفي أو ضرب ونحوه، وذلك بضوابط شرعية يحددها أهل الاختصاص، فقد شرع الله تعالى العقوبات ونوَّعها.

3- معالجة الاختلالات الاقتصادية والاجتماعية، وتقليص الفجوة الآخذة بالاتساع بين أغلبية مقهورة ومسحوقة في المجتمعات العربية، وبين أقلية متنفذة تسيطر على الثروات والمقدّرات والدخول، لا سيما أن قناعة تسود لدى أوساط شعبية واسعة بأن الفساد، واستغلال المناصب والمواقع للإثراء غير المشروع هي التي تقف وراء ما تتمتع به نخبة مهيمنة محدودة من مكتسبات.

4- فتح قنوات الحوار، لإقناع من يحمل فكراً متطرفاً بالطرق السلمية بعيداً عن العنف وإراقة الدماء.

5- إنهاء حالة التفرد السياسي الذي تمارسه كثير من الحكومات والأنظمة، والتوقف عن سياسة القمع وتكميم الأفواه، والتوجه لفتح أبواب الحريات المسئولة في كافة الجوانب، وإذا كانت بعض الأطراف الخارجية تتحدث عن الإصلاح السياسي كضرورة تخدم مصالحها، فإن مصلحة الأمة وشعوبها، بل وحتى حكوماتها، أن تباشر عملية إصلاح ذاتية حقيقية، وأن تقنع الجميع بأن إمكانية التغيير والإصلاح بالوسائل السلمية متاحة، وأن يتم ذلك دون تأخير أو إبطاء.

المطلب الرابع: العلاج للجانب الإعلامي

لا بد من العمل على وقف التصريحات المعادية للإسلام والمسلمين في الغرب، سواء من قبل بعض وسائل الإعلام، أو بعض النخب السياسية والفكرية والدينية، لأن من شأن هذه التصريحات العدائية أن تستفز غضب العرب والمسلمين، وتولّد مشاعر غضب شديدة.

قال تعالى:{**وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ**} [آل عمران: 186]

تختلف وسائل الابتلاء والفتنة باختلاف الزمان وتختلف وسائل الدعاية ضد الجماعة المسلمة، ووسائل إيذائها في سمعتها وفي

(72) محمد الأمين الهرري- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن (26/ 213)

(73)ابن القيم- هداية الحيارى- ص36.

مقوّماتها وفي أعراضها وفي أهدافها وأغراضها.. ولكن القاعدة واحدة: **{لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيراً}(آل عمران: 136)**، ولقد حفلت السورة بصور من مكايد أهل الكتاب والمشركين وصور من دعايتهم للبلبلة والتشكيك.

أحياناً في أصول الدعوة وحقيقتها، وأحياناً في أصحابها وقيادتها. وهذه الصور تتجدد مع الزمان. وتتنوع بابتداع وسائل الدعاية الجديدة، وتوجه كلها إلى الإسلام في أصوله الاعتقادية، وإلى الجماعة المسلمة والقيادة الإسلامية. فلا تخرج على هذه القاعدة التي كشف الله عنها للجماعة المسلمة الأولى، وهو يكشف لها عن طبيعة الطريق، وطبيعة الأعداء الراصدين لها في الطريق..

والعلاج: على الأمة أن تستيقن أن الصبر والتقوى هما زاد الطريق. ويبطل عندها الكيد والبلبلة ويصغر عندها الابتلاء والأذى وتمضي في طريقها الموعود، إلى الأمل المنشود.. في صبر وفي تقوى.. وفي عزم أكيد[74].

الخاتمة

أهم ما توصل إليه الباحثان من نتائج وتوصيات.

أولًا: النتائج:

1- الغلو يدل على الارتفاع ومجاوزة الحد في الدين؛ وذلك بالزيادة في العبادة عن الحد الذي أثر عن النبي ﷺ.

2- لا علاقة بين التمسك بالنصوص والغلو؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس تمسكا والتزاما لنصوص الشريعة، ومع هذا لم يحصل لهم غلو أو تشدد – إلا في قضايا عينية في حياة النبي ﷺ،و قد أرشدهمﷺ إليها، وبين لهم طريق العبادة المعتدلة فانتهوا، وسببه هو موافقة هذا الالتزام منهم رضي الله عنهم لعلم صحيح، وفهم سليم، وهمة حريصة على العلم والبصيرة، فنجوا من الغلو فضلا عن الاستمرارية فيه.

3- بعد الناس عن زمان الأفاضل صار الدين غريبا، وأطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، حتى صار المتمسك بسنة المصطفى ﷺ العاض عليها بنواجذه منبوذاً مستهزأ به في تلك المجتمعات، وأطلقوا عليه عبارات النبز كالمتزمتين، والغالين، والمتطرفين، والأصوليين ممن يروجون لذلك.

4- تفسير النصوص تفسيرًا متشددًا يتعارض مع السمة العامة للشريعة، ومقاصدها الأساسية فيشدد على نفسه، وعلى الآخرين.

5- تكلف التعمق في معاني التنزيل لما لم يكلف به المسلم، ومن هنا نشأت الفرق كلها أو أكثرها.

6- إلزام النفس أو الآخرين في الأحكام بما لم يوجبه الله عز وجل عبادةً وترهبًا، وهذا معياره الذي يحدده الطاقة الذاتية، حيث إن تجاوز الطاقة، وإن كان بممارسة شيء مشروع الأصل يعتبر غلوًا.

7- إن تنحية شرع الله تعالى، وعدم التحاكم إليه في شئون الحياة وهجره من أخطر وأبرز مظاهر الانحراف والغلو في مجتمعات المسلمين، ولقد كانت عواقب الحكم بغير ما أنزل الله في بلاد المسلمين ما حل بهم من أنواع الفساد، وصنوف الظلم واستبداد، والذل والمهانة.

8- دور الاستعمار في انتهاك حقوق الناس، وأخذ أموالهم بالباطل، واحتلال الأراضي، وانتهاك الحرمات، والقتل، والتدمير، والاغتصاب، وإجبار الناس على النزوح، وترك أراضيهم وأوطانهم يولد الإرهاب والعنف والتطرف، وهذا ما حصل في كثير من الدول، فسلاح القهر أكبر الأسباب التي تولد العنف.

9- الأسباب الفكرية من أخطر آثار الغلو والتطرف انتشارًا في المجتمعات المسلمة، فأصحاب هذا الفكر يسرفون في تضليل الناس، وتكفيرهم، فيستبيحون دمائهم وأموالهم.

10- العقلية المتدينة المتشددة التي ابتعدت عن الفهم الوسطي للدين الإسلامي، اتخذت العنف وسيلة لكل تغيير في المجتمعات.

11- الغلو في الاعتقاد أخطر أنواع الغلو؛لرسوخه في القلب بما فيه من رأي أو فكر أو شرع، فأصعب ما يكون انتزاعها؛ لأن صاحبها يدافع عنها كما يدافع عن دمه وماله وعرضه، فالغالي إنما يعتقد ما يتوهم أنه شرع الله وليس كذلك، بل إنما يعتقد فكرًا أو رأيًا مصدره الهوى، لأن الضرر الحاصل بالغلو في الاعتقاد أعظم من الضرر الحاصل بالغلو في العمل.

[74]انظر: سيد قطب- في ظلال القرآن (1/ 540)

12- إن من أخطر الآفات التي تفتك بالمجتمعات المسلمة تكفير الناس بأدنى شبهة، دون التحقق من صحة ما قيل، أو الأخذ بظاهر أقوالهم، فقد حذرنا النبي ﷺ من اتهام المسلم بالكفر دون دليل أو بينة، فالحكم على مسلم يقول لا إله إلا الله لا يجوز في دين الله تعالى.

13- حذرنا سبحانه وتعالى من متابعة اليهود والنصارى، وأن نتشبه بهم في المغالاة في الدين قال تعالى **{يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ}** [النساء: 171].

14- الجهل بقواعد الإسلام وآدابه وسلوكه،فعدم الرسوخ في فقه الدين، والإحاطة بآفاق الشريعة، تجعل المسلم دائمًا يميل إلى التضييق والتشديد والإسراف في القول بالتحريم، وتوسيع دائرة المحرمات، مع تحذير القرآن والسنة والسلف من ذلك.

15- يشيع بعض الجهلة التكفيريين بين الناس أن مجرد الكفر هو سبب كاف لاستباحة الدماء، وهذا جهل بالدين يناقضه صريح الآيات من القرآن الكريم والسنة النبوية، والخبرة العملية للتاريخ الإسلامي.

16- إن عدم فهم حقيقة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أدى إلى إشكالات كبيرة في ساحة العمل الإسلامي، حيث عمدت فئة من المغالين إلى استخدام العنف في تغيير المنكر والأمر بالمعروف، فقتلوا، وخطفوا، وحرقوا، ودمروا، واستباحوا الدماء، والأعراض، ظنا منهم أنهم على صواب.

17- البطالة تدفع بالكثير من الشباب إلى الانخراط بالجماعات المتطرفة، حيث تستغلهم هذه الجماعات لأغراضها الخاصة ويتم تحت ضغط الحاجة عملية غسيل للدماغ، وقد أثبتت الأحداث أن هناك عددًا من الشباب الذين غرر بهم تحت طائلة الأموال.

18- غياب دور العلماء وانشغالهم، فالعلماء لهم منزلةٌ عظيمةٌ في المجتمع المسلم، فهم ورثة الأنبياء، فغيابهم أو انشغالهم، مدعاةٌ لتصدير غير الأكفاء الذين يُضلون الناسَ بغير علم، وحينذاك يتعرض المجتمعُ للهلاك.

19- نقص الثقافة الدينية في المناهج التعليمية في معظم البلاد الإسلامية، فقد أُسست السياسة التعليمية في معظم البلاد الإسلامية على أسس غير إسلامية، مما جعل الجهل مسيطرًا على عقول كثير من الشباب بالثقافة الإسلامية.

20- رفقاء السوء، فلا شك أنه لا يُستهان بدور الرفقاء في النزوع نحو الغلو والتطرف، لا سيما عندما يكون تأثير الرفقاء قوياً في وجود شخصية ضعيفة أو غير مستقرة أسرياً.

21- تلعب وسائل الإعلام دوراً لا يُستهان به في تغذية فكر الغلو والتطرف، فهي بما تقدمه من برامج وأفلام وأخبار ونحوه، ففي أغلب الأحيان تنتهج منهج التطرف فإما الاستهتار بالعقول والشعائر الدينية والأخلاقية، أو زرع الفتن وإثارتها من خلال بعض البرامج أو الأفكار.

22- محاربة المظاهر العامة للفساد الأخلاقي والديني، ذلك من شأنه أنه لا يترك مجالاً للغلاة والمتشددين لمهاجمة المجتمع والتطاول عليه، أما وجود مظاهر الانحلال والفساد قد يعطيهم المبرر في نظر الكثيرين لما يقومون به، لهذا لا بد من قطع دابر الفتنة وسد باب الذرائع.

23- تربية النشء لا بد منها، ولا بد أن يكون النشء في محضن صالح، وفق كتاب الله، ووفق سنة رسوله ﷺ فيُعلّم تعظيم كتاب الله، ويعلم تعظيم سنة رسول الله ﷺ، فإنه إذا ربي النشء على هذا خرج المجتمع كله صالحًا، وخرج المجتمع كله على وفق الكتاب والسنة.

24- الاهتمام بمناهج التربية والتعليم، وذلك من خلال العناية بالخطة الدراسية والكتاب المدرسي والمدرسين الأكفاء وبالسياسة التعليمية كلها، لأن هذا من شأنه أن يؤسس لبناء شخصية مسلمة متكاملة البناء.

25- العقوبة والردع، وهذا واجب الحكام والأمراء، وذلك بعد استخدام كل الوسائل والسبل لمعالجة ظاهرة الغلو والتطرف، فآخر العلاج الكي، إذ إن بعض الغلاة لا يصلح معهم إلا التعزير من حبس أو نفي أو ضرب ونحوه، وذلك بضوابط شرعية يحددها أهل الاختصاص، فقد شرع الله تعالى العقوبات ونوّعها.

26- الحذر من دعم مظاهر "التطرف العلماني" في مواجهة "التطرف الديني"، فالتطرف نتائجه خطيرة على المجتمعات العربية والإسلامية، وتنامي الواحد يستفز الآخر ويعمل على تفعيله.

ثانيًا: التوصيات

1- تفعيل دور العلماء في معالجة القضايا الفكرية وعدم الاعتماد على الأسلوب الأمني البوليسي، والمؤسسات الأمنية في ذلك، لأن الفكر المنحرف يحتاج إلى علاج بنفس الفكر، لا بالسجن، والتعذيب، والاضطهاد فهذا يولد زيادة في التطرف.

2- يكون للعلماء دور في معالجة بعض القضايا في وسائل الإعلام التي تغذي فكر الغلو والتطرف بإثارتها بعض البرامج، والأفكار التي تستهتر بالعقول، وإثارة الفتن.

3- توسيع المناهج الإسلامية في التعليم في جميع مراحل التعليم للطلاب، وخاصة ما يتعلق بالثقافة الإسلامية، وخاصة بين المسلمين وغير المسلمين، فضعف المقررات الدينية أدى إلى الأثر السلبي على سلوك الأفراد واتجاهاتهم.

4- فتح فرص عمل للشباب لاستغلال الوقت وإنهاء البطالة حتى لا تستغلهم الجماعات المتطرفة، والتغرير بهم تحت طائلة المال.

فهرس المراجع

ابن الأثير- النهاية في غريب الحديث والأثر- تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية - بيروت، 1399هـ - 1979م.

ابن تيمية- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم- تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، 1419هـ - 1999م

ابن تيمية- الإيمان- تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي عمان، الأردن، الطبعة الخامسة: 1416هـ/1996م.

ابن تيمية- بغية المرتاد في الرد على المتفلسفة والقرامطة والباطنية- تحقيق: موسى الدويش، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثالثة: 1415هـ/1995م.

ابن تيمية- مجموع الفتاوى- تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: 1416هـ/1995م.

ابن حبان-صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان- تحقيق: شعيب الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الثانية، 1414 - 1993.

ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والأهواء والنحل- مكتبة الخانجي - القاهرة

ابن فارس معجم مقاييس اللغة- - تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.

ابن كثير،: تفسير القرآن العظيم (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون - بيروت، الطبعة: الأولى - 1419 هـ.

أبو المنذر العوتبي- الإبانة في اللغة العربية- تحقيق: د. عبد الكريم خليفة، د. نصرت عبد الرحمن، د. صلاح جرار، د. محمد حسن عواد، د. جاسر أبو صفية، وزارة التراث القومي والثقافة - مسقط - سلطنة عمان، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 1999 م.

أبو بكر محمد الأزدي، جمهرة اللغة- تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، 1987م.

أبو بكر محمد بن الحسين الآجري، الشريعة، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى 1403هـ_ 1983م، تحقيق محمد حامد الفقي.

أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1420هـ_2000م، تحقيق مصطفى الذهبي.

أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف النووي صحيح مسلم بشرح النووي، ، دار الفجر للتراث بالقاهرة، ط الأولى 1420هـ_1999م، تحقيق محمد تامر.

أبو عبد الله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، المكتبة القيمة بالقاهرة، ط الثانية 1399هـ، تحقيق أحمد السقا.

أبو عبدالله البخاري- صحيح البخاري- تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي، سنن الترمذي، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1419هـ_1999م، تحقيق مصطفى الذهبي.

أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (المتوفى: 982هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.

أحمد بن حنبل- مسند الإمام أحمد بن حنبل- تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث – القاهرة، الطبعة: الأولى، 1416 هـ - 1995 م، صحيح الإسناد.

أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، ط الثانية 1407هـ_ 1987م، تحقيق محب الدين الخطيب.

بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو- مجموعة من العلماء، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1425هـ.

خالد الظاهري، دور التربية الإسلامية في الإرهاب، دار عالم الكتب بالرياض، ط الأولى 1422هـ_2002م.

سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي في ظلال القرآن: (المتوفى: 1385هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - 1412 هـ.

سيد منصور وزكريا الشربيني، سلوك الإنسان بين الجريمة والعدوان والإرهاب، دار الفكر العربي بالقاهرة، ط الأولى 1423هـ_2003م.

الشاطبي- الاعتصام، دار ابن عفان بالسعودية، ط الأولى 1412هـ_1992م، تحقيق سليم الهلالي.

الشاطبي- الموافقات- تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن، دار ابن عفان، الطبعة الأولى 1417هـ/ 1997م.

ضياء الدين المقدسي- الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما- دراسة وتحقيق: معالي الأستاذ الدكتور عبد الملك بن عبد الله بن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثالثة، 1420 هـ - 2000 م.

الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»: (المتوفى : 1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ

الطبري- جامع البيان في تأويل القرآن، (المتوفى: 310هـ)، تحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ - 2000 م.

عبد الرحمن بن معلا اللويحق مشكلة الغلو في الدين، تقديم :فضيلة الدكتور محمد بن عبد الله عرفة، وفضيلة الشيخ زين العابدين الركابي، الطبعة :الثانية 1420هـ - مؤسسة الرسالة.

عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ -2000 م.

عبد الرحمن معلا اللويحق- الغلو آفة عقدية- تاريخ النشر، 17/ديسمبر/2010، www.assakina.com.

عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي السمرقندي، سنن الدارمي، دار الحديث بالقاهرة، ط الأولى 1420هـ_2000م، تحقيق مصطفى الذهبي.

عمر بن عبد الرحمن القزويني الشافعيّ، مختصر شعب الإيمان للبيهقي (المتوفى: 699هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير – دمشق، الطبعة: الثانية، 1405.

القرطبي الجامع لأحكام القرآن، (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964 م.

مالك بن أنس، موطأ الإمام مالك، (المتوفى: 179هـ)، صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، النشر: 1406 هـ - 1985 م.

مجلة البحوث الإسلامية- الفرق بين التمسك بالنصوص والغلو ، https://ar-ar.facebook.com/permalink.php?story_fbid=655262654595121&id

محمد بن حسين القحطاني، فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة- دار الأوفياء للطبع والنشر – الرياض.

محمد ساداتي الشنقيطي، الإعلام الإسلامي، دار عالم الكتب بالرياض، ط الأولى 1418هـ_1998م.

محمد عميم البركتي- التعريفات الفقهية- ، دار الكتب العلمية باكستان (1407هـ - 1986م)، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.

محمد منير موسى، التعليم العام في البلاد العربية، عالم الكتب بالقاهرة، ط الثانية 1394هـ_1974م.

وهبة بن مصطفى الزحيلي، التفسير الوسيط للزحيلي، الناشر: دار الفكر – دمشق، الطبعة : الأولى - 1422 هـ.